

## خرافة التفسير الصوفي

### عند الإمام جعفر الصادق

(دراسة نقدية وتصويب على الأب نوييا ود. علي زيعور)

د. خضر محمد نبها\*

منذ حوالي أربعة عقود أو أقل، نشر الأب اليسوعي بولس نوييا<sup>(١)</sup>، والدكتور علي زيعور<sup>(٢)</sup>، ما زعما أنه تفسير صوفي للإمام جعفر الصادق (ت ٤٨ هـ)، مرتكزين على ما أورده أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢ هـ) في كتابه «حقائق التفسير»<sup>(٣)</sup>.

عاد ونشر الدكتور زيعور منذ سنوات كتابين حول الموضوع نفسه<sup>(٤)</sup>، مضيفاً إلى ركيخته السابقة، كتاب «زيادات حقائق التفسير»<sup>(٥)</sup> للسلمي أيضاً، و«مصباح الشريعة»<sup>(٦)</sup> للمجهول المؤلف أصلاً، ولكن، د. زيعور نسبه متسرعاً إلى الإمام الصادق.

وجل غاية د. زيعور أن يؤكد من خلال كتبه الثلاثة: التفسير الموضوعي للقرآن عند الصادق. وكتبا الصادق: حقائق التفسير ومصباح الشريعة، وكامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن، جل غايته أن يثبت أن للإمام الصادق تفسيراً صوفياً بل هو صوفي حسب التسمية التاريخية<sup>(٧)</sup>. ويذهب زيعور إلى أنه «إذا قبلنا أن جعفر الصادق هو مؤسس - أو في أساس - علم الكيمياء في التراث العربي الإسلامي، فيتوجب علينا القبول بأنه صاحب هذا التفسير القرآني. ذلك أن الكيمياء القديم (الخيمياء) والتصوف كانا فرعين متلازمين داخل الشخص الواحد أو في «الصنعة» الواحدة»<sup>(٨)</sup>.

ومهما يكن، حاولت منذ مدة من الزمان، وبناء على طلب أستاذي د. رضوان السيد، أن أعود إلى تفسير السلمي المطبوع،<sup>(٩)</sup>

\* كاتب وباحث من لبنان.

لأقارن ما نسبته السُّلمي إلى الإمام الصادق من تفسير مع ما رواه الهشامان: هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي،<sup>(١٠)</sup> عن الإمام جعفر الصادق من تفسير؛ لأن الغاية من المقارنة هو كتابة جزء من رسالتي في الدكتوراه.<sup>(١١)</sup>

أوردت هذا لأقول: إن عودتي إلى هذا التفسير، جعلتني أصل إلى أمر جدير بالعناية، هو أن الأب نويبا ود. زيعور، قد التبس عليهما النقل من تفسير السُّلمي، فأوردنا كل ما ذكر في التفسير تحت اسم «جعفر» باعتباره كلاماً للإمام جعفر الصادق، وهذا ما يشك به ويستبعد. ومقالتي هذه، تحاول توضيح ذلك.

وعليه، وزعت بحثي هذا إلى ثلاث نقاط:

- ١- ما فات الأب نويبا ود. زيعور في نقلهما عن السُّلمي.
- ٢- نقد وتحليل لما هو مذكور باسم «جعفر» في تفسير السُّلمي، والفتح الذي وقع فيه الأب والدكتور.
- ٣- ما تبقى من المنسوب إلى الإمام الصادق من تفسير صوفي، بمعزل عن صدقه أو كذبه.

١- ما فات الأب بولس نويبا والدكتور علي زيعور في نقلهما عن «حقائق التفسير»

بداية، إن صاحب «حقائق التفسير» هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السُّلمي (ت ٤١٢هـ)، من الصوفية، بل شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان، له اليد الطولي في التصوف. كان على جانب عظيم من العلم بالحديث حتى قيل: إنه حدّث أكثر من أربعين سنة إملأه وقراءة. أخذ عنه بعض الحقاظ منهم الحاكم أبو عبد الله، وأبو القاسم القشيري وغيرهم. ولقد خلف ما يزيد عن مائة كتاب في علوم شتى.<sup>(١٢)</sup>

ومهما يكن، يذكر السُّلمي في مقدمة تفسيره أنه «قد سمع عن بعض المتوسمين بعلوم الظواهر، تفسير بعض الآيات، ذكر أنها عن جعفر بن محمد عليه السلام، وهي على غير ترتيب»،<sup>(١٣)</sup> فأحب السُّلمي أن يجمعها ويضمها على حسب السور إلى جانب أقوال المشايخ الذين هم أهل الحقيقة.<sup>(١٤)</sup> وكان هذا هو السبب في وضع كتاب «حقائق التفسير». ومن هنا، قام الأب نويبا والدكتور زيعور، بالعودة إلى كتاب «حقائق التفسير» الذي كان

حينها مخطوطاً، وقاما بنشر كتب عن تفسير الإمام الصادق الصوفي . وقد وقع نوبيا ود . زيعور بسقطات في نقلهما، وتتخلص سقطاتهم في أربعة عناوين هي:

- ١- التجاهل
- ٢- التحريف
- ٣- النص المجزأ
- ٤- النقل باختلاف يسير

#### ١- التجاهل:

أقصد بالتجاهل، هو ما ورد في «حقائق التفسير» من قول عن جعفر، ولم يرد له ذكر عند نوبيا وزيعور . بناء عليه، اشترك الأب والدكتور في تجاهل سبع سور هي:

- ١- سورة آل عمران. (١٥) ٢- سورة الأنعام. (١٦) ٣- سورة المطففين. (١٧)
- ٤- سورة مريم. (١٨) ٥- سورة النمل. (١٩) ٦- سورة الضحى. (٢٠)
- ٧- سورة الواقعة. (٢١)

ويضاف إلى ذلك، أن د . زيعور تفرد بست سور لم يذكرها، لتصبح تجاهلاته ثلاث عشرة سورة . والسور التي تفرد بعدم نقلها هي:

- ١- سورة النبأ. (٢٢) ٢- سورة انفطرت. (٢٣) ٣- سورة المطففين. (٢٤)
- ٤- سورة البروج. (٢٥) ٥- سورة البلد. (٢٦) ٦- سورة الضحى. (٢٧)

وأعتقد، أن السبب المهم في زيادة تجاهلات الدكتور، هو النقص الأساسي في ما نشر، إذ إنه اكتفى بالاقتباس حتى سورة الدهر أو الإنسان، في نشرته الأولى سنة ١٩٧٩ (٢٨)، وظننت أنه في إصداراته اللاحقة سيتم ما فاتته، ولكن للأسف، أصدر كتابين حول الموضوع فسه، والنقص نفسه، (٢٩) إلا إذا كانت مخطوطته في الأساس ناقصة .

#### ٢- التحريف:

أقصد به، ما نسبته الأب نوبيا ود . زيعور من أقوال إلى جعفر، وقد وردت في التفسير المطبوع باسم آخر أو مجهول الاسم .

فقد نسب نوبيا وزيعور خمس آيات إلى جعفر، وهي إلى غيره، وتفرد الأب نوبيا بتفسيرين. لتصبح تحريفاته سبعة بينما هي عند د. زيعور خمس.

وسأعرض هذه التحريفات مرتبة حسب السور مع ذكر اسم الراوي في «حقائق التفسير»، وأحياناً قد يكون مجهولاً، فهو بمعنى، يورد الآية وبعدها مباشرة يذكر القول، دون تحديد اسم القائل. التحريف:

١- في سورة المائدة، الآية: ١٨. نقل الأب نوبيا<sup>(٣٠)</sup> ود. زيعور<sup>(٣١)</sup> في تفسيرهما عن جعفر بن محمد. بينما في حقائق التفسير رواها دون تحديد اسم الراوي.<sup>(٣٢)</sup>

٢- في سورة إبراهيم، الآية: ٢٦. ينقل تفسيرها الأب نوبيا<sup>(٣٣)</sup> ود. زيعور<sup>(٣٤)</sup> عن الصادق، بينما وردت في حقائق التفسير<sup>(٣٥)</sup> عن ابن عطاء.<sup>(٣٦)</sup>

٣- في سورة محمد، الآية: ٣. تفسيرها عن ابن عطاء.<sup>(٣٧)</sup> بينما نقلها الأب<sup>(٣٨)</sup> والدكتور<sup>(٣٩)</sup> عن جعفر.

٤- في سورة الناريات، الآية: ٥٦. ينقلها كل من نوبيا<sup>(٤٠)</sup> ود. زيعور<sup>(٤١)</sup> عن جعفر، بينما هي في حقائق التفسير عن محمد بن حامد.<sup>(٤٢)</sup>

٥- في سورة التحريم، الآية: ٩. ينقلها كل من نوبيا<sup>(٤٣)</sup> وزيعور<sup>(٤٤)</sup> عن جعفر، وهي في حقائق التفسير دون تحديد اسم الراوي.<sup>(٤٥)</sup>

٦- سورة عبس، الآية: ٧. ينقل تفسيرها الأب نوبيا فقط<sup>(٤٦)</sup> عن جعفر، وهي في حقائق التفسير عن جعفر الخلدي.<sup>(٤٧)</sup>

٧- في سورة المطففين، الآية: ٢٧. ينقلها الأب نوبيا فقط<sup>(٤٨)</sup> عن جعفر، بينما في حقائق التفسير دون تحديد اسم معين.<sup>(٤٩)</sup>

### ٣- النقل المجزوء:

أعني به، أن نوبيا وزيعور، قد نقلوا ما ورد في حقائق التفسير ولكنه جاء ناقصاً. فالأب نوبيا نقل كلاماً مجزئاً في خمس آيات، بينما عند زيعور هي أربع.

ومرة أخرى، لن أنقل النص المجزئ، بل سأكتفي بالإشارة إلى السور ورقم الآية والجزء والصفحة من حقائق التفسير الموجود في النص.

١- في سورة آل عمران، الآية ٩٢ و٩٧. نقل نويًا<sup>(٥٠)</sup> وزيعور<sup>(٥١)</sup> جزءاً من الكلام، وفاتهم جزء آخر ورد في حقائق التفسير.<sup>(٥٢)</sup>

٢- في سورة الأعراف، الآية ١٤٣. الأمر نفسه.<sup>(٥٣)</sup>

٣- في سورة الزمر، الآية ٣٠. الأمر نفسه.<sup>(٥٤)</sup>

٤- في سورة الإخلاص، الآية ٣. الأب نويًا نقل الكلام مجزئاً،<sup>(٥٥)</sup> ولم يتعرض لها زيعور أساساً. ورد النص كاملاً في حقائق التفسير.<sup>(٥٦)</sup>

#### ٥- النقل باختلاف يسير:

وهذا الأمر ليس بذي أهمية أو خطورة، بمعنى، أن كلاً من نويًا وزيعور قد نقلنا النص نفسه الوارد في حقائق التفسير، ولكن باختلافات يسيرة، لا تغير شيئاً في المعنى، ولو أن بعض هذه الاختلافات على جانب من الحق مع كل من نويًا ود. زيعور، وكان محقق «حقائق التفسير» لم يدقق كثيراً في نقله. مثال ذلك:

ينقل محقق «حقائق التفسير» في سورة الإسراء، الآية ١. «أن رجلاً جاء إلى جعفر بن محمد: وقال: صف لي المعراج، فقال: كيف أحقق لك مقاماً...»<sup>(٥٧)</sup> بينما الآخرون نقلوا بدلاً من أحقق كلمة «أصف»<sup>(٥٨)</sup> وكذلك الحال مع كلمة «يسع» نقلها المحقق «يسمع»<sup>(٥٩)</sup> وأيضاً نقل محقق التفسير «غيروا الرسل بالتواضع والانبساط»<sup>(٦٠)</sup> ... وأظن الصحيح ما نقله زيعور<sup>(٦١)</sup> والأب نويًا<sup>(٦٢)</sup> بـ «غيروا الرسل بالتواضع...».

ولكن، في سورة عسق (١٠): الآية ٢٣، ينقل زيعور ونويًا ما يلي: «إلا أن تتوددوا إليّ من الأعمال ما يقربكم إلى ربكم»<sup>(٦٣)</sup> بينما في تفسير السلمي المطبوع وردت بالعبارة التالية فقط: «وقال جعفر مثله»<sup>(٦٤)</sup> والقول المماثل هو لابن عطاء، يقول فيه: «لأسألكم على دعوتكم» (إلا)<sup>(٦٥)</sup> «أن تتوددوا إليّ بتوحيد الله، وتتقربوا إليه بدوام طاعته...»<sup>(٦٦)</sup> يلاحظ أن هذا المعنى قريب، ولكن ما نقله «زيعور» و «نويًا» لا يتطابق تماماً مع التفسير.

وأما باقي الاختلافات في النقل، فليست بالكبيرة كما وردت في سورة الحجر، الآية ٩:<sup>(٦٧)</sup>، وسورة النور، الآية: ٣٠:<sup>(٦٨)</sup>، وسورة النمل، الآية: ٢١،<sup>(٦٩)</sup> وسورة الواقعة.<sup>(٧٠)</sup> وعليه، تكون السور التي وردت فيها اختلافات يسيرة هي سبع سور والعدد نفسه من الآيات.

مع الإشارة، إلى أن محقق تفسير السُّلمي، قد أسقط في التفسير كامل سورة يوسف، كما قلت سابقاً، فضلاً عن الآية الأولى من سورة الفاتحة والآيتين ٩٦ و١١٢، من سورة هود، حتى أورد «زيعور» و«نويا» تفسيراً لهما عن جعفر،<sup>(٧١)</sup> وهذا ما لم يفعله محقق التفسير.

ونستخلص من كل ما سبق أن سقطات «زيعور» و«نويا» هي نفسها باستثناء ما تفرد به نويا ولم يتم من قبل زيعور، فنجد التجاهل نفسه وكذلك التحريف، والاختلاف اليسير، حتى إنهما عرضا معاً الآية: ٣، من سورة محمد ناقصة<sup>(٧٢)</sup>، وكذلك أوردنا الآية ١٩٦، من سورة الأعراف نفسها،<sup>(٧٣)</sup> بينما عرضها محقق التفسير من سورة الأنفال<sup>(٧٤)؟</sup> ولست أعلم السبب في ذلك، ولكنني أميل إلى أن الصواب مع زيعور ورفيقه في هذه الآية.

وباختصار شديد، فإن عدد السور المتجاهلة هي ثلاث عشرة سورة وست عشرة آية.<sup>(٧٥)</sup> وأما التحريف، فكان في سبع سور، والعدد نفسه في الآيات، والنص المجزوء في أربع سور وخمس آيات. وأما الاختلاف اليسير، فكان سبع سور والعدد نفسه في الآيات. وهذا أمر مستغرب من باحثين مشهود لهما في البحث والتحقيق.

نقد وتحليل لما هو مذكور باسم «جعفر» في «حقائق التفسير»، والإشكال الذي وقع فيه الأب والدكتور.

إلى هنا، نكرت ما تجاهله أو فات «زيعور» و«نويا» في الاقتباس من «حقائق التفسير» يبقى، إلى أي مدى نستطيع أن نعتبر أن ما نسب من تفسير صوفي للصادق هو له حقاً؟ لا أقصد بذلك، أن أتحقق من موافقة المنسوب إلى الصادق، مع روح فكر الصادق واتجاهاته الفكرية، أو مقارنته مع ما ورد عنه في المصادر الأخرى، فهذا العمل يقتضي بحثاً نقدياً خاصاً، وإنما الذي أقصده هو: هل أن «زيعور» و«نويا» قد وبقا، ودون أي التباس، في النقل عن السُّلمي في تفسيره؟

وبعبارة أوضح، هل كل ما ذكر في تفسير السُّلمي، باسم «جعفر»، يقصد به «جعفر الصادق»، وبالتالي، هو له؟ أم أن في الأمر رأياً آخر؟

إذا طالعنا بتمعن «حقائق التفسير» للسُّلمي، يلفت نظرنا روايته عن رجلين كلاهما باسم «جعفر»، فالأول يوضحه السُّلمي بأنه الإمام جعفر الصادق، وأما الثاني، فيروي عنه السُّلمي هكذا: «قال جعفر» دون تحديد هويته.

فالسؤال المشروع الآن: من هو «جعفر»؟ هل هو الإمام الصادق نفسه، أم أنه شخص آخر؟

والذي أذهب إليه، عكس د. زيعور والأب نوبيا، أن جعفر الوارد في التفسير هو غير الإمام جعفر الصادق، وذلك للأسباب التالية:

- ١- يوضح السُّلمي كيفية نقله عن الإمام الصادق، فكان يروي عنه على الشكل التالي:
  - قال جعفر الصادق. (٧٦)
  - قال الصادق. (٧٧)
  - قال الصادق عليه السلام. (٧٨)
  - قال جعفر الصادق رضي الله عنه. (٧٩)
  - سمعت أبا نصر الأصفهاني يقول: سمعت... عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه. (٨٠)
  - سمعت منصور بن عبد الله يقول... عن جعفر بن محمد عليه السلام (٨١)...
  - سمعت منصوراً يقول بإسناده عن جعفر عليه السلام. (٨٢)
  - سمعت منصور بن عبد الله يقول... عن جعفر بن محمد عليه السلام (٨٣)...
  - قال جعفر رضي الله عنه (٨٤)...

نلاحظ من هذا، أن السُّلمي كان يردف دائماً مع اسم الإمام جعفر الصادق، عبارة «عليه السلام» أو «رضي الله عنه»، أو «مع سند واضح» أو «بلقبه المشهور به»، وهذا ما لم نعثر عليه ولا مرة واحدة في كل التفسير مع اسم «جعفر» الآخر. ويعني هذا أنه لو كان السُّلمي يقصد بـ جعفر، الإمام الصادق، لأردف مع اسمه العبارات السابقة.

والأمر نفسه، قام به السُّلمي في كتابه الآخر، والذي نلاحظ فيه، أن السُّلمي عندما يتحدث عن الإمام الصادق كان يذكره إما «بلقبه» أو «بسند واضح عن أحمد بن نصر إجازة»... أو مع عبارة «رضي الله عنه»، (٨٥) وهذا ما لم يفعله مع «جعفر» الآخر. ألا يعني هذا التطابق في منهج السُّلمي في كتابيه الحقائق والزيادات، أنه يقصد بـ «جعفر» رجلين متميزين ومختلفين؟

٢- لو كان «جعفر» هو نفسه الإمام الصادق، كيف نفهم ما قام به السلمي في «الحقائق» و «الزيادات»، عندما كان يذكر تفسير آية ما، فإنه يورد قولاً للإمام الصادق وبعده مباشرة يقول: «قال جعفر». فلو كان «جعفر» المجهول هو الإمام جعفر الصادق نفسه، فما معنى هذا التمايز والتكرار؟ فلو كان يقصد بهما كلاماً واحداً والشخص عينه، فكيف نفهم قول السلمي وقال أيضاً،<sup>(٨٦)</sup> عندما يريد إضافة كلام جديد للشخص المذكور. إن مجرد عرض السلمي حول تفسير الآية الواحدة، قولاً باسم «جعفر الصادق» والآخر باسم «جعفر»، هذا يقتضي أن يكون القولان متمايزين ولشخصين مختلفين، وإلا لاكتفى السلمي، لو كان يقصد بهما شخصاً واحداً، بقوله «وقال أيضاً».

وأحياناً، عندما يريد السلمي أن يكرر قولاً لجعفر الصادق نفسه، كان يعود ويكرر اسمه مرة ثانية،<sup>(٨٧)</sup> وطبعاً، هذا المنهج يختلف عندما يقول قال جعفر الصادق وبعده مباشرة يقول قال جعفر، فهذا يعني حكماً أنهما مختلفان.

وخوفاً من أن أفهم، بأنني ألقى الكلام على عواهنه، سأورد ما يعزّز بأن السلمي كان يذكر قولاً باسم «الصادق» و «الآخر باسم جعفر» أثناء عرضه لتفسير الآية ذاتها، بمعنى آخر، أن السلمي كان يعرض الآية وبعدها يذكر تفسيراً للإمام الصادق وبعد تفسير الإمام مباشرة يورد «لجعفر» هذا، مما يعني أنهما رأيان لشخصين مختلفين، وهذا المنهج ذكره السلمي في سورة الذريات،<sup>(٨٨)</sup> حيث يورد السلمي قولاً لجعفر الصادق، وبعده مباشرة يقول: قال جعفر.<sup>(٨٩)</sup> وكذلك في سورة النجم،<sup>(٩٠)</sup> حيث يذكر السلمي في تفسيرها أكثر من اثني عشر رأياً. ويورد عن «جعفر» ثلاثة آراء متباعدة، وبعدها مباشرة يذكر للإمام الصادق رأياً بسند واضح.<sup>(٩١)</sup>

وأيضاً سورة الفاتحة،<sup>(٩٢)</sup> وآل عمران.<sup>(٩٣)</sup> وسورة بني إسرائيل أو الإسراء.<sup>(٩٤)</sup> حيث يذكر قولاً للصادق مع سند وبعدها يعبر به: قال أيضاً. ثم وبعدها مباشرة يورد عبارة قال جعفر، وكذلك في سورة النمل.<sup>(٩٥)</sup> ومن كل هذا، نميل، بل نصر بأن جعفر الأول هو غير جعفر الثاني. وإلا، لو كانا واحداً فما معنى التكرار والتمايز؟ ويعزّز إصرارنا وميلنا، هو أن السلمي في كتابه الآخر، والمكمل للحقائق أقصد به، «زيادات حقائق التفسير»، قد استخدم المنهج نفسه المعتمد في «الحقائق»، أي منهج التمييز ما بين جعفر وجعفر الصادق، حيث نجده يذكر قولاً لجعفر الصادق وبعده مباشرة يورد كلاماً باسم «جعفر» كتفسير للآية نفسها.<sup>(٩٦)</sup> وإذا أراد السلمي أن يكرر كلام الصادق، كان يورد «وقال أيضاً».<sup>(٩٧)</sup>



إن هذا التطابق في منهج السُّلمي ما بين «الحقائق» و «الزيادات»، يشير إلى ضرورة التمييز ما بين الجعفرين، وأن القول المروي عن جعفر الصادق في تفسير آية ما، يتمايز ويختلف عن المنقول عن «جعفر» المجهول في الآية نفسها.

ويبقى، من هو جعفر هذا؟ وهل هو على مرتبة يستحق أن ينقل عنه السُّلمي ويميزه عن الإمام الصادق؟ في الواقع ترجم السُّلمي نفسه لـ «جعفر» في طبقات الصوفية يقول: هو «جعفر بن محمد بن نصير الخَلديّ، أبو محمد الخَوّاص، من كبار الصوفية، صحب الجُنَيْد وعُرف بصحبته وكان المرجع في حكايات وسير الصوفيين، لأنه يذكر كان عنده مائة ونيف وثلاثون ديواناً من دواوين الصوفية.

كان من أفنى المشايخ وأجلّهم، وأحسنهم قولاً، أسند الحديث ورواه. حج قريباً من ستين حجة، توفي ببغداد سنة ٣٤٨هـ. وقبره عند قبر سري السقطي والجُنَيْد»<sup>(٩٨)</sup>

إذن، جعفر الخلدي على درجة عالية عند الصوفيين، وموقعه كبير عند السُّلمي نفسه، فالذي قام به السُّلمي هو أنه دلّس في نقولاته، بمعنى، أن السُّلمي لم يميز في منقولاته بين ما هو للإمام الصادق وما هو لجعفر الخلدي، كأنه يريد أن يجعل ما هو للصادق متداخلاً مع ما هو للخلدي، ليتقبل القارئ كل ما ذكره عن جعفر، ظناً منه بأنه كلام للإمام جعفر الصادق، وهو الإمام المشهور والمقبول من عامة الناس.

وتأكيداً لمنهج التدليس هذا، قمت بمقارنة ما بين «حقائق التفسير» و «زيادات التفسير» للسُّلمي، فوجدت أن السُّلمي في الحقائق ينقل حول سورة يونس الآية ٥٨ ما يلي:

قال جعفر - وبعدها ذكر قال أيضاً<sup>(٩٩)</sup>. وبالمقارنة مع «الزيادات»، وجدت القول الثاني هو المتوافق مع ما ذكر في «الزيادات» عن الصادق وبسند واضح<sup>(١٠٠)</sup>. وكذلك ما أورده حول تفسير الآية ٨٢ من سورة الأنبياء. حين ذكر السُّلمي في الحقائق قولين باسم جعفر<sup>(١٠١)</sup> أحدهما هو المتطابق مع ما ورد في الزيادات باسم جعفر الصادق<sup>(١٠٢)</sup>. والأمر نفسه في سورة الذاريات<sup>(١٠٣)</sup>.

وأحياناً، يكون الأمر معاكساً، بمعنى، ما ذكره السُّلمي في «الزيادات» باسم جعفر<sup>(١٠٤)</sup> يكون مطابقاً مع ما أورده في الحقائق باسم الصادق<sup>(١٠٥)</sup>.

من كل هذا نستنتج، أن السُّلمي قد دلّس في نقولاته عن الجعفرين، حيث كان يعرض على الشكل التالي: قال جعفر، وقال الصادق، في تفسير الآية نفسها. فيظن المطلع أنهما

واحد، وهذا ما حصل مع الأب نويبا ود. زيعور، حيث نقلنا كل ما ذكر باسم جعفر باعتباره كلاماً للإمام الصادق.

ولا يخفى، أن هذا الأمر ليس سليماً، لأنه لا بُدَّ أن نميز ما بين جعفر الصادق وجعفر الخَلدي في ما ورد عند السُّلمي في كتابيه «الحقائق» و«الزيادات».

### ٣- ما تبقى من المنسوب إلى الإمام الصادق من تفسير صوفي:

بعد أن بيّنا تدليس السُّلمي ما بين الإمام الصادق وجعفر الخَلدي، يبقى أن أشير إلى أن الأب نويبا قد نشر حوالي ٣١٠ روايات باعتبارها تفسيراً صوفياً للإمام الصادق مستمد من «حقائق التفسير»، وأما د. زيعور فنذكر في كتبه الثلاثة ما يزيد عن خمسمائة تفسير صوفي للصادق، مقسمة على ٣٢٠ من الحقائق و٢١٥ من الزيادات.

وبناءً على منهج السُّلمي التدلّيسي، فالذي تبقى من التفسير الصوفي المنسوب للإمام الصادق، حوالي ٤١ رواية من أصل ٣٢٠ وردت في «الحقائق»، وما يقارب ١١٠ من أصل ٢١٥ في «الزيادات» ومقياسي في ذلك، هو: أنني اعتبرت أن كل رواية سندها واضح عن الإمام الصادق، أو أن السُّلمي أردف بعد أسم «جعفر» عبارة «عليه السلام» أو «رضي الله عنه»، أو أنه ذكر الرواية مع لقب «الصادق» المشهور به الإمام جعفر، اعتبرت كل هذه الحالات هي ما نستطيع أن نزعمه رأياً للإمام الصادق. وأما غير ذلك فهو تدليس ويُعدّ لجعفر الخَلدي.

مع العلم، أنني أشك حتى في الروايات المنسوبة للإمام الصادق باعتبارها تفسيراً صوفياً له، لأن السُّلمي يرويها، وكما هو واضح في سندها في «حقائق التفسير»، عن منصور بن عبد الله،<sup>(١٠٦)</sup> وفي الزيادات عن أحمد بن نصر الذراع بسنده عن الإمام الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد الصادق.<sup>(١٠٧)</sup>

وأما منصور بن عبد الله،<sup>(١٠٨)</sup> فهو كذاب لا يعتمد على روايته، حدث عن جماعة من الخراسانيين بالفرائب والمناكير.<sup>(١٠٩)</sup> روى عنه السُّلمي أيضاً في طبقات الصوفية.<sup>(١١٠)</sup>

وأما أحمد بن نصر،<sup>(١١١)</sup> فهو بغدادى مشهور، أتى بمناكير تدل على أنه ليس بثقة.<sup>(١١٢)</sup> قال الدار قطنى بأنه دجال، من أباطيله وإفكه.<sup>(١١٣)</sup> وإن أحاديثه عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد، من أباطيله وإفكه. ويروي عن صدقه بن موسى بن تميم، وهو شيخ مجهول.<sup>(١١٤)</sup> ومن هنا، نفهم كلام ابن تيمية (ت ٧٠٨هـ) حول

تفسير السُّلمي، الذي اعتبر أن أكثر نقولات السُّلمي عن الإمام الصادق ضعيفة وباطلة،<sup>(١١٥)</sup> بل يتهمه ابن تيمية بأن أكثر مروياته موقوفة على نفسه، بمعنى، أنها للسُّلمي ولكنه نسبها إلى غيره.<sup>(١١٦)</sup>

ولكن قد يكون لدى ابن تيمية غرض في قدحه، وهو المعروف بعداوته للصوفية، غير أن، هذا لا يلغي أبداً الشك في الأحاديث المروية عن الإمام الصادق، لا سيما أن في سندها من هو كذاب ويحدث بالمناكير كما مرّ سابقاً.

وأخيراً، وليس آخراً، أظن أنه لم يعد ضرورياً المناكفة أو الخلاف القديم ما بين الأب نويبا ود. زيعور،<sup>(١١٧)</sup> حول أصالة عمل كل واحد منهما، لأن كلاهما لم يوفق في الاقتباس، بل وقعا معاً في الالتباس وتدليس السُّلمي.

وإنني أتأسف، على ما ذكره الدكتور زيعور، في كتابه الثالث الذي صدر منذ سنتين تقريباً باسم «كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن»،<sup>(١١٨)</sup> والذي ذهب فيه إلى أنه وضع اللبنة الأخيرة في مشروع التفسير الصوفي عند الإمام الصادق،<sup>(١١٩)</sup> أتأسف على مشروعه هذا، لأنه يحتاج إلى إعادة بناء من جديد على قاعدة التمييز ما بين الإمام جعفر الصادق، وجعفر الخدي الصوفي. طبعاً هذا إذا بقي د. زيعور مؤكداً ومصرراً على مشروعية الحديث عن تفسير صوفي صادق وإلا، فإن التفسير الصوفي عند الإمام الصادق هو خرافة وتدليس. والله تعالى العالم والموفق.

## الهوامش

- (١) Poul Nwyia: Le Tafsir Mystique. Attribue a GAFAR SADIQ imprimerie ealtholique, (١) Beyrouth, 1986.
- (٢) د. علي زيعور: التفسير الصوفي عند الصادق، دار الأندلس، بيروت، ط ١، سنة ١٩٧٩م.
- (٣) في الوقت الذي نشر الدكتور زيعور، والأب نوبيا التفسير الصوفي، كان تفسير السلمي ما يزال مخطوطاً، واليوم طبع هذا الكتاب بجزئين كبيرين، عن دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، سنة ٢٠٠١م.
- (٤) د. علي زيعور: كتابا الصادق: حقائق التفسير القرآني ومصباح الشريعة، دار عز الدين، لبنان، ط ١، سنة ١٩٩٣م. والكتاب الثاني هو: كامل التفسير الصوفي العرفاني للسلمي الشافعي، دار البراق، لبنان، لا. ط، سنة ٢٠٠٢م.
- (٥) السلمي: زيادات حقائق التفسير، حققه وقدم له جبر هارد بودرينغ، دار المشرق، لبنان، ط ٢، ١٩٩٧م.
- (٦) مصباح الشريعة المنسوب للإمام جعفر الصادق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ط ٢، سنة ١٩٩٢م.
- (٧) زيعور: كامل التفسير...، ص ١٠.
- (٨) زيعور: كتابا الصادق...، ص ٥٤.
- (٩) السلمي: حقائق التفسير، تحقيق سيد عمران، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، سنة ٢٠٠٢م.
- (١٠) هما من متكلمي الشيعة الإمامية في القرن الثاني الهجري، ومن تلامذة الإمام الصادق عليه السلام. وقد تقدمت برسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية - خلدة حول هشام بن الحكم وتمت مناقشتها منذ مدة تحت إشراف د. رضوان السيد.
- (١١) أطروحتي حول «المدرسة الكلامية والفقهية، عند الهشامين: هشام بن الحكم وهشام بن سالم، وهي أطروحة أحضر لها حسب نظام الإشراف المشترك ما بين الجامعة اللبنانية وجامعة Lyon2 فرنسا. تحت إشراف د. رضوان السيد والدكتور محمد شريف الفرجاني».
- (١٢) اقتبست هذه الترجمة المقتضبة من مقدمة محقق تفسير السلمي، ص ٩.
- (١٣) السلمي: حقائق التفسير، ج ١/٢٠، خطبة المؤلف، بتصرف.
- (١٤) المصدر نفسه.
- (١٥) راجع النص في: السلمي: حقائق التفسير، ج ١/٨٨، الآية: ٨.
- (١٦) المصدر نفسه، ج ١/١٩٤، الآية: ٨٤.
- (١٧) المصدر نفسه، ج ١/٣٩٥، الآية: ٨٤.
- (١٨) المصدر نفسه، ج ٢/٤٢٣، الآية: ١٢.
- (١٩) المصدر نفسه، ج ٢/٩٠، الآية: ٤٠.
- (٢٠) المصدر نفسه، ج ٢/١٧٥، الآية: ٧٠.
- (٢١) المصدر نفسه، ج ٢/٢٩٩، الآية: ٣.
- (٢٢) راجع النص في: السلمي: حقائق التفسير، ج ٢/٣٦٨، الآية: ٣٥-٣٦.
- (٢٣) المصدر نفسه، ج ٢/٣٧٧ و ٣٧٨، الآية: ٦ و ١٤.
- (٢٤) المصدر نفسه، ج ٢/٣٨٢، الآية: ٢٤.
- (٢٥) المصدر نفسه، ج ٢/٣٨٦، الآية: ١٣.
- (٢٦) المصدر نفسه، ج ٢/٣٩٥، الآية: ٤ و ١٥.

- (٢٧) المصدر نفسه، ج ٢ / ٤٠١، الآية: ٦ - ١١.
- (٢٨) زيعور: التفسير الصوفي للقرآن عند الصادق، م. س.
- (٢٩) زيعور: كتاب الصادق، م. س. وأيضاً له كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن، م. س.
- (٣٠) Poul Nwyia: le Tafsir My stique Pp. 195
- (٣١) د. زيعور: التفسير الصوفي للقرآن عند الإمام الصادق، ص ١٢٨.
- (٣٢) السُّلَمي: حقائق التفسير، ج ١، ص ١٧٤.
- (٣٣) الأب نويّا: المصدر نفسه، ص ٢٠٤.
- (٣٤) د. زيعور: المصدر نفسه، ص ١٥٦.
- (٣٥) السُّلَمي: حقائق التفسير، ج ١، ص ٣٤٥.
- (٣٦) هو أبو العباس، أحمد بن محمد سهل بن عطاء الأدمي البغدادي، هو من الصوفيين مات مع الحلاج، سنة ٣٠٩ هـ.
- (٣٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٤٦.
- (٣٨) نويّا: المصدر نفسه، ص ٢٢١.
- (٣٩) د. زيعور: المصدر نفسه، ص ١٩٨.
- (٤٠) نويّا: المصدر نفسه، ص ٢٢٢.
- (٤١) السُّلَمي: حقائق التفسير، ج ٢، ص ٢٧٨.
- (٤٢) السُّلَمي: المصدر نفسه.
- (٤٣) نويّا: المصدر نفسه، ص ٢٢٦.
- (٤٤) السُّلَمي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠١.
- (٤٥) السُّلَمي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠١.
- (٤٦) نويّا: المصدر نفسه، ص ٢٢٨.
- (٤٧) السُّلَمي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٣.
- (٤٨) نويّا: المصدر نفسه، ص ١٢٨.
- (٤٩) السُّلَمي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٨٢.
- (٥٠) نويّا: المصدر نفسه، ص ١٩٢.
- (٥١) د. زيعور، المصدر نفسه، ص ١٣٤.
- (٥٢) السُّلَمي: حقائق التفسير، ج ١، ص ١٠٧ و ١٠٨.
- (٥٣) عند نويّا: المصدر نفسه، ص ١٩٣؛ وعند زيعور: المصدر نفسه، ص ١٤٢؛ وتتمّة النص عند السُّلَمي: المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٢.
- (٥٤) عند نويّا: المصدر نفسه، ص ٢١٩؛ وعند زيعور: المصدر نفسه، ص ١٩٣ و ١٩٤؛ وتتمّة النص عند السُّلَمي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩٨؛ وهي ثلاثة أقوال.
- (٥٥) نويّا: المصدر نفسه، ص ٢٣٠.
- (٥٦) السُّلَمي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٣١.
- (٥٧) السُّلَمي: حقائق التفسير، ج ١، ص ٣٨١.
- (٥٨) عند نويّا: المصدر نفسه، ص ٢٠٥؛ زيعور: المصدر نفسه، ص ١٦٢.
- (٥٩) المصدر نفسه.
- (٦٠) السُّلَمي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٩.

- (٦١) د. زيعور: المصدر نفسه، ص ١٧٨.
- (٦٢) نوبيا: المصدر نفسه، ص ٢١٣.
- (٦٣) تسمى أيضاً بسورة الشورى في المصحف الشريف.
- (٦٤) زيعور المصدر نفسه، ص ١٩٦؛ نوبيا: المصدر نفسه، ص ٢٢٠.
- (٦٥) السُّلَمي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٢٧.
- (٦٦) ما بين المزدوجين لم يريده المحقق، ومن الضروري إضافتها ليستوي المعنى. لا سيما أن زيعور ونوبيا قد أورداها، فلعلها سقطت من المحقق وهو الذي أسقط سورة يوسف من التفسير كاملة.
- (٦٧) السُّلَمي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٢٧.
- (٦٨) السُّلَمي: المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٥١، زيعور: المصدر نفسه، ص ١٥٨، نوبيا: المصدر نفسه، ص ٢٠٤.
- (٦٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٣؛ زيعور: المصدر نفسه، ص ١٧٥، نوبيا: المصدر نفسه، ص ٢١١.
- (٧٠) السُّلَمي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٨، زيعور: المصدر نفسه، ص ١٨٢، نوبيا: المصدر نفسه، ص ٢١١.
- (٧١) السُّلَمي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩٩، زيعور: المصدر نفسه، ص ٢٢٥، نوبيا: ص ٢٢٥.
- (٧٢) زيعور: المصدر نفسه، ص ١٢٥، رقم (٢) وأيضاً ص ١٤٩؛ نوبيا: المصدر نفسه، ص ٢٠٠.
- (٧٣) زيعور: المصدر نفسه، ص ١٩٨، نوبيا: المصدر نفسه، ص ٢٢١، والآية هي: «ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل» نقلها معاً «الذين كفروا...» مع الإشارة أن محقق التفسير قد أوردها كاملة، ج ٢، ص ٢٤٦.
- (٧٤) زيعور: المصدر نفسه، ص ١٤٢، نوبيا: المصدر نفسه، ص ١٩٧.
- (٧٥) السُّلَمي: المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٠.
- (٧٦) مع الإشارة إلى أن الأب نوبيا تفرد في التجاهل، بسبب نقل الأب نوبيا عدداً كبيراً أكثر من الآيات، كما أشرت سابقاً.
- (٧٠) السُّلَمي: حقائق التفسير، ج ٢، ص ٢٣٥.
- (٧١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢٢.
- (٧٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤١٢.
- (٧٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٧١ أوردها قال الصادق رحمة الله عليه. بينما أوردها زيعور: كامل التفسير الصوفي... ص ١٤٣. قال: جعفر الصادق رضي الله عنه.
- (٧٤) السُّلَمي: حقائق التفسير، ج ٢، ص ٣٠١.
- (٧٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢٠.
- (٧٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٤.
- (٧٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦.
- (٧٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٥.
- (٧٩) راجع فهرست الاعلام في كتاب «زيادات حقائق التفسير». حيث يشير إلى أرقام الروايات التي نكر فيها السُّلَمي عن الإمام الصادق.
- (٨٠) السُّلَمي: حقائق التفسير، ج ١، ص ٢٦، الآية ١، سورة الفاتحة، و ص ٣٠٠، الآية ٢٥، سورة يونس. و ص ٣٩٤، الآية ٨٠ من سورة الإسراء. و ص ٤٠٦، الآية ١٨، من سورة الكهف؛ و ج ٢/١٠، الآية ٨٣، من سورة الأنبياء، و ص ١٠٤، الآية ٨٩، من السورة نفسها، ص ٢٤، الآية ٣٤، من سورة الحج. و ص ٥٢، الآية ٣٥. من سورة النور؛ و ص ١٠٣، الآية ٢٤، من سورة القصص. و ص ١٢٢، الآية ٦٩، من سورة العنكبوت. و ص ١٦٥، الآية ٢٢ من سورة فاطر. و ص ٢٣٥، الآية ٦٨، من سورة الزخرف (ورد فيها قال جعفر

الصادق . وقال أيضاً...). ص ٢٨٤، الآية ٨، من سورة النجم، ص ٣٤٤، الآية ٤٢ من سورة ن أو القلم.

(٨١) السُّلَمي: حقائق التفسير، ج ١، ص ٢٢٨ الآية ٤٣، من سورة الأعراف، وأيضاً ج ١، ص ٢٤٠، الآية نفسها.

(٨٢) سورة الذريات، الآية: ٥٥، راجع: السُّلَمي حقائق التفسير، ج ٢، ص ٢٨٢.

(٨٣) السُّلَمي: حقائق التفسير، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٨٤) سورة النجم، الآية: ١، وراجع السُّلَمي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٨٣.

(٨٥) سورة الإخلاص، وراجع السُّلَمي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢٩ حتى ٤٣١.

(٨٦) سورة الفاتحة، المصدر نفسه، ١-٢٣ و ٢٤.

(٨٧) سورة آل عمران، الآية: ٩٢: المصدر نفسه، ١-١٠٧ و ١٠٨.

(٨٨) الإسراء، الآية: ٨٠، المصدر نفسه، ج ١-٣٩٤.

(٨٩) السُّلَمي: حقائق التفسير، ج ٢، ص ٩٧.

(٩٠) السُّلَمي: زيادات حقائق التفسير، الأحاديث تحت رقم: ١٦٤، ٢٢٩، ٣٤٧، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٧١، ٤٠٨، ٤٨٧.

(٩١) المصدر نفسه، الأحاديث تحت رقم: ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧١، ٤٦٣.

(٩٢) السُّلَمي: طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ومكتبة الهلال بيروت والمكتب العربي بالكويت، ط ٢، سنة ١٩٦٩، ص ٤٣٤.

(٩٣) السُّلَمي: حقائق التفسير، ج ١، ص ٢٠٥.

(٩٤) السُّلَمي: زيادات حقائق التفسير، ص ٥٧.

(٩٥) المصدر نفسه، الحقائق، ج ٢، ص ١٠.

(٩٦) المصدر نفسه، الزيادات، ص ٩٥.

(٩٧) المصدر نفسه، الحقائق، ج ٢، ص ٢٧٨، وأيضاً الزيادات، ص ١٨٨.

(٩٨) المصدر نفسه، الزيادات ص ٦٥، في قوله تعالى (ربي لطيف لما يشاء).

(٩٩) زيعور: التفسير الصوفي عند الصادق، ص ١٥٣؛ وسبب نقلي عن زيعور هو أن محقق التفسير قد أسقط من التفسير كامل سورة يوسف.

(١٠٠) السُّلَمي: حقائق التفسير، ج ١، ص ٢٦ و ٣٤٦ وغيرها من الصفحات. والجدير ذكره أن السُّلَمي عندما يروي «سمعت منصوراً بإسناده...» يقصد بذلك منصور بن عبد الله. مع الإشارة، أن محقق تفسير السُّلَمي فسّر ما ذكره السُّلَمي بقوله «سمعت منصوراً يقول بإسناده عن جعفر عليه السلام...» (ج ١، ص ٦٤)، اعتبر منصوراً هو منصور بن عمار، وأظن هذا خطأ. لأن السُّلَمي كان قد ذكر سند منصور كاملاً.

(١٠١) راجع فهرست الأعلام في كتابه الزيادات، حيث يشير إلى أماكن الرواية.

(١٠٢) هو منصور بن عبد الله بن خالد بن أحمد، أبو علي الخالدي الذهلي، من أهل هراة. مات بعد الأربعمائة؛ راجع تاريخ بغداد، ج ١، ص ٨٤، وميزان الاعتدال، ج ٤، ص ٢٠٢.

(١٠٣) السُّلَمي: حقائق التفسير، ج ١، ص ٦٤.

(١٠٤) راجع فهرست الأعلام، حيث يشير إلى أماكن الرواية عنه.

(١٠٥) هو: أحمد بن نصر بن عبد الله بن الفتح، أبو بكر الذراع أو الذارع؛ نزل النهروان، وحدث بها. راجع: تاريخ بغداد، ج ٥، ص ١٨٤.

(١٠٦) ابن حجر: لسان الميزان، ج ١، ص ٣٤٨ و ٣٤٩، رقم ٩٦٢.

(١٠٧) المصدر نفسه.

- (١٠٨) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢٨، رقم ٨٥، ٤٢٢٦.
- (١٠٩) ابن تيمية: مجموعة الرسائل والمسائل، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، سنة ٢٠٠٢م، ج١، ص٢٧؛  
أما كلام ابن تيمية حرفياً فهو كما يلي: إن كتاب «حقائق التفسير» لأبي عبد الرحمن السُّلمي يتضمن ثلاثة  
أنواع. أحدها: نقول ضعيفة عن نقلت عنه والثالث: نقول صحيحة عن قائل مصيب، فكل معنى يخالف  
الكتاب فهو باطل وحجته ناحضة، وكل ما وافق الكتاب والسنة والمراد بالخطاب غيره إذا فسر به الخطاب  
فهو خطأ، وإن نكر على سبيل الإشارة والاعتبار والقياس. فقد يكون حقاً وقد يكون باطلاً.
- (١١٠) زيعور: كامل التفسير الصوفي العرفاني للقرآن، دار البراق، لبنان، لا.ط، سنة ٢٠٠٢.
- (١١١) المصدر نفسه.
- (١١٢) المصدر نفسه.
- (١١٣) المصدر نفسه.